أسلوب التعجب في الحديث الشريف دراسة نحوية دلالية في صحيح مسلم

د. عائشة الأمين محمد عمر سليمان ـ كلية التربية ـ أبوعيسى ـ جامعة الزاوية

aesh.mohammed@zu.edu.ly

الملخص :

أسلوب التعجب في صحيح مسلم استخدم في أحاديث كثيرة مما يعزز قوة الإيمان والتأكيد على أهمية القيم الإسلامية والأعمال الصالحة، ويعكس أهمية الأوامر والنواهي الواردة من رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - وقد ورد التعجب بِنَوْعَيْهِ القياسي والسماعي معبراً عن أمور وأحكام متعددة تتعلق بالإيمان والعبادة والقضايا الاجتماعية ولإبراز أهمية الأوامر والتوجيهات النبوية وجذب انتباه المستمعين والقراء إليها ويعكس هذا الأسلوب الشغف والحماسة التي كانت تميز النبي - صلى الله عليه وسلم - في نشر الإسلام وتوجيه المسلمين وقد وضعنا بعض النماذج من الأحاديث النبوية الشريفة ودرسنا من خلالها أسلوب التعجب وصفة الواردة في صحيح مسلم.

Research Summary

The exclamation method in Sahih Muslim was used in many hadiths, which enhances the strength of faith and emphasizes the importance of Islamic values and good deeds, and reflects the importance of the commands and prohibitions received from our Noble Messenger - may God bless him and grant him peace. The exclamation was mentioned in both its standard and auditory types, expressing multiple matters and rulings related to faith and worship And social issues, and to highlight the importance of prophetic commands and directives and attract the attention of listeners and readers to them. This method reflects the passion and enthusiasm that distinguished the Prophet - may God bless him and grant him peace - in spreading Islam and guiding Muslims. We have put together some examples of the noble prophetic hadiths and studied through them the method of exclamation and the recipe contained in Sahih Muslim. .

المقدمـــة:

الحمد لله خلق الإنسان، علّمهُ البيان، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، الذي أرْسل بكتاب عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، هدى للمتقين ورحمة وسعادة للخلق أجمعين، وبعد:

فقد شرَّف الله اللغة العربية فأنزل آخر تشريع سماوي بلسان عربي مبين، واختار محمداً - صلى الله عليه وسلم - وهو عربي النسب بلسان عبَّر عن المعنى ببيان معجز في تراكيب بليغة زادت العربية شرفاً، ولغة النبي - صلى الله عليه وسلم - خاطبت الناس على كافة ألسنتهم وأنسابهم، جديرة بأن نتناولها بالدراسات والبحوث لنبيّن أسرارها، وخصائصها، وهذا ما تنافس فيه الباحثون والدارسون، ومازالت لغة الحديث الشريف ميداناً فسيحاً للدراسة والغوص في جمال أسلوب النبي - صلى الله عليه وسلم - وروعة بيانه، لهذا رغبت أن يكون مجال بحثي في أحاديث صحيح مسلم، واخترت أسلوب التعجب الذي يُعدُّ من الأساليب الشيِّقة في اللغة العربية لما تحويه من دلالة واضحة في طريقة التعجب سواء كانت سماعية أو قياسية، فالتعجب هو انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر نادر الحصول.

وقد ورد هذا الأسلوب في صحيح مسلم وهو أحد أهم المصادر في الإسلام حيث يحتوي على مجموعة من الأحاديث النبوية التي رواها الإمام مسلم بن الحجّاج النيسابوري، ومن بين الأساليب المميزة في صحيح مسلم، فقد كانت عباراته بليغة دقيقة لما لها من تأثير على المفهوم والتأويل الصحيح للأحاديث.

الفرضيات:

تفترض هذه الدراسة أن أسلوب التعجب في صحيح مسلم يلعب دوراً مهماً في تأثير الحديث على المسلم، وفهمه، وقد يؤدي ذلك إلى تطبيق ما جاء في الحديث من تشريع إسلامي.

الإشكالية:

1- تتمحور الإشكالية في معرفة دور أسلوب التعجب في صحيح مسلم، وتأثيره على التأويل الصحيح للأحاديث، وكيف يساهم في توجيه القارئ لفهم المعنى الحقيقي للأحاديث وتطبيقها في الحياة اليومية.
2- دراسة المستوى التركيبي والأسلوبي، والكشف عن التضافر الأسلوبي بين أنواع التعجب السماعي والقياسي.

أهمية البحث:

1- دراسة الحديث الشريف دراسة لغوية فهو ثاني مصادر التشريع الإسلامي، ومنبع لغتنا العربية العريقة.
2- الغوص في جماليات أسلوب التعجب الوارد في الحديث النبوي الشريف.

أسباب اختيار الموضوع:

1- دراسة الأساليب اللغوية للحديث الشريف ودلالتها.

2- دراسة تأثير أسلوب التعجب في فهم الأحاديث النبوية وتطبيقها.

منهجية الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث سيتم تحليل أسلوب التعجب في صحيح مسلم من خلال دراسة بعض الأحاديث، وتحليل تراكيبها، ومعانيها، ويتم استخدام المنهج النقدي لاستنباط النتائج، وتوجيه التأويلات الصحيحة للأحاديث.

مادة الدراسة:

تتمثل مادة الدراسة في الأحاديث النبوية في صحيح مسلم، وقد يكون بينها بعضاً من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

مصطلحات البحث :

1- أسلوب التعجب : يقصد به الأسلوب اللغوي الذي يعبر عن الدهشة أو الإعجاب أو الاستغراب تجاه شيء معين، يتم استخدام أسلوب التعجب في اللغة الشفهية والكتابية لإضافة قوة التعبير وإبراز المشاعر.

2- **الأسلوب:** هو الطريقة التي يستخدمها الكاتب أو المتحدث للتعبير عن أفكاره ومشاعره، يعكس الأسلوب الخصائص الفردية والإبداعية المميزة للشخص في التعبير عن الأفكار والمعاني، ويتكون الأسلوب من مجموعة من العناصر المختلفة مثل الاختيار اللغوي والتركيب الجملي والإيقاع والتناغم واستخدام التشبيهات والتصوير البلاغي وغيرها، يمكن أن يكون الأسلوب عملياً أو شاعرياً واضحاً أو مجازياً، وللأسلوب تأثير كبير في النصوص المكتوبة والخطابات والمحاضرات والأعمال الأدبية وغيرها.

3- **صحيح مسلم:** من أهم المصادر في الحديث النبوي الشريف، ألفه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، يحتوي على مجموعة من الأحاديث الصحيحة الموثوقة والمتواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أحد الكتب الأساسية التي يستخدمها العلماء والباحثون المسلمون لفهم السُنة النبوية وتطبيقها في الحياة اليومية.

التمهيد:

أسلوب التعجب من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، إلا أن بعض النحاة عدَّهُ من أقسام الأسلوب الخبري، لأنه إخبار عن حالة التعجب القائمة في النفس، ولكن نحاة آخرين اعتبروه أسلوباً إنشائياً، لأنه صيغة كلامية يطلب بها تعظيم الأمر في نفس السامع. تعريف التعجب:

أولاً:- التعجب لغةً: التعجب مأخوذ من عَجَب منه، يَعْجَبُ عَجَباً، وتعَجَّبَ، واسْتَعْجَبَ، والاستعجاب هو شدة التعجّب، والعَجَبُ: النظر إلى شيء غير مألوف، وأعجب بالشيء وعجَّبَهُ، تعجيباً: نبَّهَهُ على التعَجّب منه، والتعجب: أنْ ترى الشيء يعجبك[1]، أو هو استعظام أمر ظاهر المزية[2].

ثانياً:- التعجب اصطلاحاً: التعجب هو استعظام زيادة في وصف الفاعل، خفي سببُها، وخرج بها المتعجب منه عنه أمثاله، أو قلَّ نظيره فيها[3]. وقد عرَّفه الزمخشري بأنه "تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره، وأشكاله"[4]. وعرَّفه ابن فارس بقوله: "أما التعجب فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه بوصف كقولك: ما أحسن زيداً"[5]. ويرى بعض النحاة أن التعجب يكون مما لا يعرف سببه، أما ما عُرف سببه فلا تتعجب منه؛[6] لأن أصل التعجب إنما هو للمعنى الخفي سببه والصيغة الدالة عليه تُسمَّى تعجباً يعني مجازاً[7].

فالتعجب يكون لما لا نعرف له – نحن البشر – سبباً لحدوثه أما ما نعرف سببه فلا يحدث فيه التعجب؛ لأنه شعور داخلي تتأثر فيه النفس بأمر عجيب أو غريب يحدث آثاراً خارجية على الوجه، كالعبوسة أو الطلاقة[8].

أنواع التعجب: التعجب نوعان: قياسي وسماعي.

أولاً:- التعجب القياسي:

له صيغتان:

1- ما أفْعَلَهُ 2- أَفْعِلْ به

وضعت هاتان الصيغتان للتعجب، ولكن بشروط يجب أن تتوفر في الفعل الذي يصاغ منه هاتان الصيغتان، وهذه الشروط هي:

أن يكون فعلاً ماضياً، ثلاثياً، متصرفاً، تاماً، مثبتاً، وأن يكون مبنياً للمعلوم، وأن يكون قابلاً للتفاضل، وأن لا تكون الصفة المشبهة منه على وزن أفعل الذي مؤنثه فعلاء[9]. فإذا أُريد التعجب من فعل لا تنطبق عليه الشروط فيؤتى بمصدر ذلك الفعل مسبوقاً بـــ(أَشَدَّ)، أو نحوها، كقولنا: (ما أَشَدَّ حمرة الورد) مثلاً[10].

الصيغة الأولى: (ما أَفْعَلَهُ): هذه الصيغة مكونة من (ما) التي للتعجب، و(أَفْعَلَ) مفتوحة الآخر، والمتعجب منه منصوب، وهذه الصيغة لابد أن تلزمها ما) كقولنا: (ما أَحْسَنَ زيداً)، وفعل التعجب يلزم لفظاً واحداً، ولا يصرف لدلالته على التعجب[11]. و(ما) نكرة تامة بمعنى (شيء) لكن النحاة اختلفوا في معناها، فالبصريون ذهبوا إلى أنها بمعنى (شيء)، وهي في موضع رفع بالابتداء، وجملة (أَحْسَنَ) خبره، والتقدير: شيء أحسن زيداً[12].

قال ابن هشام: "فأما (ما) فأجمعوا على اسميتها؛ لأن في (أَحْسَن) ضميراً يعود عليها، وأجمعوا على أنها مبتدأ؛ لأنها مجردة للإسناد إليها"[13].

أما بعض الكوفيون فذهبوا إلى أن (أَفْعَلَ) اسم وليس فعل[14].

أما المتعجب منه فهو منصوب دائماً؛ لأنه مفعول به والجملة الفعلية (أفعله) خير لـــ(ما) التعجيبة[15]. ويجوز حذف المتعجب منه إذا دلَّ عليه دليل كقول الشاعر:

أرى أُمَّ عمرو دمعها قد تحدرا بكاءً على عمرو وما كان أصبرا[16].

التقدير : ما كان اصبرها، حذف الضمير وهو المفعول به لفعل التعجب، وجاز ذلك لتقدم ما دلَّ عليه، أما إذا لم يدل عليه فلا يجوز حذف المتعجب منه، فلا تقول: (ما أَحْسَنَ).

وصيغة (ما أَفْعَلَهُ) وردت في صحيح مسلم في مواضع متعددة.

بعض النماذج من أحاديث صحيح مسلم:

"عن حذيفة بن اليمان أنه قال: حدَّثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثين قد رأيت أحدهما، وأنا انتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جَذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة، فقال: ينام الرجل النومة فتقيض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكن[17]، ثم ينام نَوْمَةً فتقبض الأمانة

من قلبه فيظل أثرها مثل المجل[18]، كَجَمَر دَحْرَجْتَهُ على رجلك فَنفطتْ فتَرَاهُ مُنْتَبَراً، وليس فيه شيء، ثم أخذ حَصَاة فدحرجها على رجله، فقال: فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة حتى يُقال الرجل: ما أَجْلَدَهُ وأظْرَفَهُ، وأَعْقَلَهُ، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، قال: ولقد أتى عليَّ زمان، وما أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعَتُ؟ فيه لَئن كان يهودياً أو نصرانياً ليردنه على ساعيه ولئن كان مسلماً لتَرُدَّنَّهُ على دينه، فأما اليوم فما كنتُ لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً"[19].

ورد في الحديث قوله - صلى الله عليه وسلم - (ما أجلده، وما أظرفه وأعقله) وهو أسلوب إنشائي غير طلبي فهو أسلوب تعجب مكون من (ما + فعل التعجب + المتعجب منه).

فقد استخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أفعل التعجب من أفعال توافرت فيها الشروط فالفعل (أجلدَ أصله جَلَدَ، وأظرَفَ أصله ظَرُف، وأعْقَلَ من عَقِلَ).

و(ما) التعجيبة نكرة تامة بمعنى شيء في محل رفع مبتدأ، وأجْلَدَهُ فعل ماضٍ والهاء مفعول به عائد على الرجل، وقد كرّر الرسول - صلى الله عليه وسلم - التعجب بالأفعال الثلاثة، وهذا يدل على مدى شدة الافتتان بصاحبه لدرجة أن الناس لا يقدرون على التفرقة بين من هو مستحق للإعجاب ومن لا يستحق، وهذا واضح من حذف (ما) التعجيبة من الفعلين (أظرفه، وأعقله) اكتفاءً بدلالة (ما) الأولى في قوله: (ما أجلده) فلا داعي للتكرار.

ـ "عن الزُّهَرِيّ، قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرته أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو في الصلاة (الله إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدَّجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، قالت: فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغْرم يا رسول الله، فقال: "إن الرجل إذا غرِمَ حدَّثَ فكَذِبَ، وَوَعَدَ فأخْلَفَ"[20] ، ورد في هذا الحديث أسلوب تعجب بصيغة (ما + أفْعَلَ + المتعجب منه) وهو قول أحد الصحابة (ما أكثر ما تستعيذ من المغرم) فـ(ما) نكرة تامة بمعنى (شيء) في محل رفع على الابتدا، وأكثر فعل ماضٍ، و(ما) اسم موصول وهي مع فعلها في محل نصب على المفعولية، وجملة (أكثر ما تستعيذ) في محل رفع خبر المبتدأ وكان - صلى الله عليه وسلم - يكثر أمام أصحابه من الاستعاذة من الإثم والعصيان ومن غلبة الدَّين فقيل له: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فما خطره؟ فأجابهم أنه شر كبير، لأنه يدعو إلى الكذب[21].

فهذا أسلوب تعجب قياس بصيغة (ما أفعل) ما أكثر ما تستعيذُ (ما) الأولى تعجيبة، وما الثانية مصدرية[22] وقوله (ما أكثر) فعل تعجب و(ما تستعيذ) في محل نصب[23].

ـ "عن عبدالله بن الزبير أن عائشة أمرت أن يمرَّ بجنازة سعد بن أبي وقّاص في المسجد فتصلي عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت: ما أسْرعَ ما نسى الناس ما صَلَّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ابن البيضاء إلا في المسجد"[24].

نرى في هذا الحديث أسلوب تعجب وهو قول عائشة – رضي الله عنها (ما أسرع ما نسي الناس) حيث جاء أسلوب التعجب بالصيغة القياسية المكونة من (ما) وفعل التعجب (أسْرّعَ)، وهي هنا تستنكر على الناس ما فعلوه.

الصيغة الثانية:- (أَفْعَلْ به) : وهي صيغة مكونة من الفعل (أفْعلْ) وبعده حرف الجر (الباء) مع مجرورها، سواء كان اسماً ظاهراً أو ضميراً متصلاً بها، فيكون أسلوب التعجب كالآتي: (أفْعِلْ + الباء + المتعجَّب منه).

إعراب هذه الصيغة: ورد في كتب النحو إعرابان لهذه الصيغة هما:

ـ أفْعِلْ: فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر وهنا (الباء) تكون حرف جر زائد في الفاعل، والفاعل يكونَ مجروراً لفظاً مرفوع محلاً، فتكون الجملة قبل التعجب صَدُقَ محمدُ في تعجبنا بـ (أصْدق بمحمد).

ـ أن يكون فعل التعجب فعل أمر، فجملة (أصْدق بمحمد) أصْدقْ: فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره (أنتَ)، والباء: حرف جر أصلي، وما بعدها اسم مجرور بها[25].

ولم أعثر في صحيح مسلم على هذا النوع من أساليب التعجب القياسي.

ثانياً:- الأساليب السماعية في التعجب: التعجب السماعي هو ثاني أنواع التعجب بعد التعجب القياسي، وهذا النوع ليس له ضوابط أو صيغ محددة، وإنما يفهم من طريقة كلام المتحدث ونبرته الصوتية، ويعزز ذلك بقرينه دالة، وسأوضح بعض هذه الأساليب التي وردت في أحاديث صحيح مسلم.

بعض النماذج الأحاديث الواردة في صحيح مسلم:

1- **التعجب بـ: (سبحان الله):** من الأساليب السماعية التي تستعمل في التعجب هي لفظ (سبحان الله)، وهي صيغة غير قياسية وإنما (سبحان) هو اسم مصدر من الفعل (سبَّح – يسبّح)وهو مصدر نائب عن فعله، ويعرب مفعولاً مطلقاً[26]، ولا يستعمل

إلا بإضافته إلى لفظ الجلالة، أو ضمير يعود عليه، وذلك عندما يريد المتكلّم التعجب من شيء أعجبه، ومن الأحاديث التي ورد فيها التعجب بـ(سبحان الله) ما يلي:-

أـ "عن الشعبي عن مسروق، قال: سألتُ عائشة هل رأى محمد- صلى الله عليه وسلم - ربَّهُ؟ فقالت: سبحان الله لقد قفَّ شعري لما قلت"[27]. ورد أسلوب التعجب (سبحان الله) وهو من الأساليب البلاغية المستخدمة للتعبير عن التعجب والدهشة بشكل مباشر وقوي، فهو بسؤاله هذا أراد إيصال فكرة أنه لا يمكن لأحد أن يشكك في أن محمد - صلى الله عليه وسلم - هو رسول الله وخاتم الأنبياء، فإنه لا يمكن لأحد أن يتخيل أنه رأى ربه، نظراً للمكانة العظيمة التي يحتلها النبي في الإسلام، ومن هنا كان تعجب السيدة عائشة قوياً، نابعاً من التأكيد في الرد على أية شكوك قد تثار بخصوص أمور دينية، وكأنها تقول: كيف يخفى عليه مثل هذا.

ب ـ "عن أبي هريرة أنه لقيه النبي - صلى الله عليه وسلم - في طريق من طرق المدينة، وهو جُنُبُ فانسلَّ فذهب فاغتسل، فتفقده النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما جاءه قال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال: يا رسول الله لقيتني وأنا جُنبُ فكرهتُ أن أجالسك حتى اغتسل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبحان الله إن المؤمن لا ينجس"[28]. تعجب النبي - صلى الله عليه وسلم - بـ(سبحان الله) دليل على أن المؤمن لا يتنجس أو يتلوث بالأعمال السيئة أو الذنوب فالمؤمن نقي طاهر، وهذا ما يعكسه الحديث أي: مفهوم النقاء والطهارة الروحية للمؤمن، فالإيمان القوي والعمل الصالح يحميان المؤمن من الشرور والذنوب التي تلوث الروح وتنجسها ؛ ولذلك تعجب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أبي هريرة بقوله: (سبحان الله) التي قصد بها في هذا المقام التعجب، ومعنى التعجب هنا: كيف يخفى على أبي هريرة مثل هذا[29].

أـ "عن عائشة قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي يتأول القرآن[30]. جاء لفظ (سبحانك اللهم) وهو منصوب على المصدر يقال: سبحت الله تسبيحاً، وسبحاناً، فسبحان هنا معناه براءة وتنزيه له من كل نقص، وهي مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (نسبِّح)، والكاف: ضمير مبني في محل جر مضاف إليه، وقد ذكر العيني في قوله: (سبحان الله) (أنه مقول القول، و(سبحان) علم للتسبيح، كعثمان، علم للرجل، وانتصابه على المصدرية، والتسبيح في اللغة: التنزيه، والمعنى هنا: أنزه الله تنزيهاً عمَّا لا يليق به، واستعماله هنا للتعجب؛ لأن العرب قد تستعمله في مقام

التعجب)[31]. فـ(سبحان) مصدر معناه التنزيه وهي مثل غفران في جعل مصدر الفعل غفر غفراناً وسبح سبحان[32].

2- **التعجب بـ(لا إله إلا الله):** هذه الجملة تستعمل للتعجب أحياناً، فيذكرها المتكلم عندما يتعجب من شيء، وهذه هي عبارة التوحيد التي يقوم عليها الدين وهي تؤكد وحدانية الله وعظمته وسلطانه، وقد تستعمل بمعنى التعجب، وقد وردت هذه الجملة في أحاديث كثيرة في صحيح مسلم وما كان منها لغرض التعجب ما يلي:-

أ- "عن زينب بنت جحش، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استيقظ من نومه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتِحَ اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد سفيان بيده عشرة، قلتُ: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟، قال: نعم، إذا كثر الخبث"[33]. في هذا الحديث يظهر على النبي – صلى الله عليه وسلم – علامات الفزع على أمته، ولذلك قال: (لا إله إلا الله) للتعجب من الأمر الواقع، وظهور يأجوج ومأجوج، وإفسادهم في الأرض، وقد ظهر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فزعاً من هذا الشيء فكلاهما استعملها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بمعنى التعجب عندما يحدث لأصحابه عن علامات يوم القيامة.

ب- "عن النعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي، يقول: سمعت عبدالله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله، أوْ لا إله إلا الله – أو كلمة نحوها – لقد ضممتُ أن لا أحدِّث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم ستَرَوْنَ بعد قليل أمراً عظيماً، يُحَرَّقُ البيتُ، ويكون، ويكون، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين – لا أدري أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين عاماً..."[34]. نلحظ في هذا الحديث التعجب بشكل واضح من خلال التعبيرين (سبحان الله) و(لا إله إلا الله) فقد استعملها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بمعنى التعجب عندما تحدث لأصحابه عن علامات الساعة.

3- **التعجب بـ(واها):** (واها) الألفاظ التي وُجِدَ معناها بمعنى التعجب في أحاديث صحيح مسلم، وهو تعبير يستخدم للتعبير عن الدهشة أو الاستغراب تجاه شيء مفاجئ وهذه بعض من الأحاديث:

أ- "قال أنس: عمِّي الذي سُمّيتُ به لم يشهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدراً، قال: فشقَّ عليه، قال: أول مشهد شهِدَهُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غُيِّبْتُ عنه، وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

ليراني الله ما أصنع، قال: فهَابَ أن يقول غيرها، قال: فيشهِدَ مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم أُحُد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو، أين؟ فقال: وَاها لريح الجنة أجِدُهُ دون أُحُد، قال: فقاتلهم حتى قُتِلَ..."[35]. ورد لفظ (واها) في الحديث وهي كلمة يراد منها التلهف، وقد تستعمل للتعجب، يقول ابن منظور: "(واها) قيل: معنى هذه الكلمة التلهف وقد توضع موضع الإعجاب بالشيء، يقال: وَاهاً له، وقد تردُ بمعنى التوجع، وقيل: التوجع يقال فيه آها"[36]. فلفظ (واها) تعني التعجب من حسن الشيء فكأننا قلنا: ما أحسنه[37]، وهذا من شدة تلهف أبي عمرو للشهادة في سبيل الله وتشوقه لها لينال الجنة ونعيمها، فلما قال: وَاهاً لريح الجنة كأنه قال ما أحسن ريح الجنة.

4- **التعجب بـ(ويح – ويل):** هذان اللفظان لكلٍّ منهما معنى مختلف عن الآخر، فكلمة (ويح) معناها: الرحمة، وكلمة (ويل) معناها: العذاب، (تقول: ويحُ لزيد، وويلٌ لزيد، ترفعهما على الابتداء)[38]. وكلمة (ويل) تقال لمن وقع في هلكة، ولا يترحم عليه، أما (ويح) تقال لمن وقع في هلكة ويترحم عليه[39] وهي أيضاً كلمة تعجب[40]. وقيل: واد في جهنم، أو هي زجر لمن أشرف على الهلكة، و(ويح) كلمة ترحم لمن وقع في الهلكة وقد تكون للمدح، والتعجب[41]. وهي كلمة رحمة ترفع على الابتداء وقد تنصب بإضمار فعل، فتقول: ويحَ زيد، ووَيْحَهُ بالنصب[42]. ومعنى ذلك أن كلمة (ويح) كلمة ترحم وقد تكون بمعنى التعجب، وقد ترفع على الابتداء أو تنصب بإضمار فعل، وقد تضاف أو لا تضاف كما ورد في بعض الأحاديث. وكلمة (ويل) من المصادر التي لا أفعال لها وهي كلمة عذاب، وهي مقابل (ويح) التي للترحم[43]. وهي كلمة رحمة أو توجع لمن وقع في هلكة لا يستحقها[44]. وقد يقال بمعنى المدح والتعجب وهي منصوبة على المصدر وقد ترفع وتضاف إما للاسم الظاهر أو للضمير[45].

ومن الأحاديث التي وردت في صحيح مسلم وفيها لفظ (ويح) بمعنى التعجب ما يلي:-

أ- "عن وَاقِدِ بن محمد بن زيد، أنه سمع أباه يحدِّث عن عبدالله بن عُمر، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال في حجة الوداع: ويحكم أو قال: ويلكم، لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض"[46]. ورد في الحديث لفظ (وَيْحَ) مضافاً إلى الضمير كاف الخطاب، في قوله (وَيْحَكُمْ) وهو هنا منصوب على إضمار فعل، وهو يتعجب من حال المسلمين، متلهفاً عليهم فيوصيهم بألا يرجعوا بعده كفاراً، وقد استعمل لفظ (كفار)؛ لأن صفة القتل للكفار، وليس للمسلمين، فاستعمل لفظ (ويح)

بمعنى التعجب والتوجع والترحم، وكذلك استعمل لفظ (ويل) بمعنى: التلهف والتعجب، وهي أيضاً مضافة للضمير منصوب به على إضمار فعل.

ب- "...عن سالم مولى شداد قال: دخلتُ على عائشة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم تُوُفِّي سعد بن أبي وقاص فدخل عبدالرحمن بن أبي بكر فتوضأ عندها قالت: يا أبا عبدالرحمن أسْبِغْ الوضوء، فإني سَمِعْتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ويل للأعقاب من النار"[47].

جاءت كلمة (ويلٌ) نكرة غير مضافة وهي مرفوعة على الابتداء وقد قصدت بها السيدة عائشة التعجب من وضوء أبي عبدالرحمن، لأنه أخطأ في الوضوء فخافت عليه من الوقوع في الهلاك لأن حقيقة لفظ (ويل) هو الوقوع في الهلكة وهي هنا يراد بها التعجب[48].

5- **التعجب بـ(ويس):** وهي كلمة كلما ذكر النحاة تقال للترحم والرفق والشفقة مثل (ويح)، وقد ذكر الزمخشري عنها ووَيْس في معنى الترحم، وويس رأفة واستملاح[49].

والويس من الأسى وهو الحزن[50]. وكلمة (ويس) مبنية وهي تصغير (ويح)[51].

وهي اسم فعل بمعنى (ويح)[52] وتكون بمعنى رأفة واستملاح بمعنى ما أملحه[53].

بعض الأحاديث التي ورد فيها لفظ (ويس) في صحيح مسلم:

"...عن خالد بن الحارث، قال: أُرَاهُ يعني أبا قتادة، وفي حديث خالد: ويقول: وَيْسَ أو يقول: يا ويْس ابن سمية"[54]. وهنا جاءت كلمة (ويس) وهي كلمة يراد بها الترحم والرفق، وقد يراد بها التعجب من شيء معين، فقد تعجب من ابن سمية وحكمها الإعرابي مثل حكم (ويح)، وقد وردت في الحديث بإثبات (ايا) النداء ويجوز استخدامها بحذفها[55].

التعجب بالفعل (عجب) من الصيغ السماعية للتعجب هي وروده بالفعل (عَجَب)، أو أحد اشتقاقاته واستخدامها بأداة النداء أو من غير أداة النداء واحد، فقول النبي – صلى الله عليه وسلم – لعمار: (ويس) ابن سمية أي اتفجع أو اتحزن لابن سمية أو لفظ (يا ويس) أي يا تفجُّعي وتحزُّني على ابن سمية تعالى إليَّ لأتعجب منك[56].

وهذه بعض الأحاديث التي ورد فيها الفعل (عجب):

أـ "عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى، فقالت: مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: من يضيِّف هذه الليلة رحمه اللهُ؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رَحْلِهِ فقال لامرأته: هل عندك شيءٌ؟ فقالت: لا إلا قوتُ صبياني، قال: فعَلِّليهم بشيء فإذا أُدْخِلَ ضيفُنا فأطفئي السِّرَاج وأرِيه أنَّا نأكُل، فإذا أخْوى ليأكل فقومي إلى السِّراج، فلما أصبح غدا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: قد عَجِبَ اللهُ من صنيعكما بضيفكما الليلة"[57]. في هذا الحديث الشريف يبيِّنُ لنا الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - أن الله قد عجب من صنيع الرجل وامرأته، والفعل (عجب) أسند إلى لفظ الجلالة (الله) ومعنى إسناد التعجب إلى الله – سبحانه وتعالى – يرجع إلى الرضا والتعظيم وأن الله يعظم من أخبر عنهما بأنه تعجب منهما ورضي عنهما[58]. ومعنى قوله: (عجب الله): الرضا وكذلك الفرح والاستبشار الوارد في صفات الله – عز وجل-[59] فالتعجب من صفاته – تعالى – عالم الغيب وهو الذي يعلم الغيب، فعجبه يختلف عن عجب البشر

ب - "....عن عائشة، قالت: عَبَث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صَنَعْتَ شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: العَجَبُ إن ناساً من أمتي يَؤُمُّون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا البيداء خُسفَ بهم، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستنصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم"[60]. ورد أسلوب التعجب المساعي هنا بمصدر الفعل (عَجب) وهو (العَجَبُ)، وقد استخدمه الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - متعجباً من حال المسلمين، وما آل إليه حالهم، وَعَبث في الحديث معناه: اضطرب جسمه، وحرك أطرافه فوضح هنا أن كلاً من المستبصر والمجبور وابن السبيل لهم المصير نفسه، وأما المجبور فهو المكره على الشيء، وأما ابن السبيل فهو سالك الطريق معهم وليس منهم، فهؤلاء جميعاً بَيْنَ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنهم يهلكون ويوم القيامة يبعثون على نياتهم[61].

ج - "عن أنس بن مالك، قال: لما فتحت مكة قسم الغنائم في قريش، فقالت الأنصار: إن هذا لَهُوَ العَجَبُ، إنَّ سيوفنا تَقْطرُ من دمائهم، وإنَّ غنائمنا ترد عليهم، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجَمَعَهُم، فقال: ما الذي بلغني عنكم؟ قالوا: هو الذي

بلغك، وكانوا لا يكذبون، قال: أمَا تَرْضُونَ أن يرجع الناس بالدنيا إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟ لو سلك الناس وادياً أو شعباً وسلك الأنصارُ وادياً أو شعْباً لسَلَكتُ وَادِيَ الأنصار، أو شعْب الأنصار"[62] ، ورد أسلوب التعجب السماعي في الحديث وهو قول الأنصار (العَجَبُ) وهو مصدر الفعل (عجب) فقد تعجبوا من القوم الذين أخذوا الغنائم، واستنكروا عليهم ذلك؛ لأنهم ظنوا أنها من حقهم، فردَّ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ردّاً أثلج صدورهم.

دـ "....بلغ عائشة أن عبدالله بن عمرو يأمر النساء إذا اغتَسَلنَ أن ينْقُضْنَ رؤوسَهُنَّ، فقالت: يا عَجَباً لابن عمرو هذا، يأمر النساء إذا اغْتَسَلنَ أنْ ينْقُضْنَ رؤوسهنَّ، لقد كنت اغتسلُ أنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - من إناء واحد، ولا أزيدُ على أنْ أُفرِغَ على رأسي ثلاث إفراغات " [63] أسلوب التعجب الوارد في هذا الحديث تعجب سماعي جاء بصيغة المصدر مصحوباً بأداة النداء (يا) والتي أريد بها التعجب وليس النداء، في قوله: (يا عجباً) وصدر هذا التعجب من السيدة عائشة – رضي الله عنها – وعجباً هنا : مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: أعْجَبُ، وهي هنا تتعجب من صنيع ابن عمرو في أَمْرِهِ النساء بنقض رؤوسهن عند الاغتسال، فكان تعجبها إنكاراً منها لذلك.

الخاتمـــــــــــة :

أظهرت الدّراسة أن أسلوب التعجب في صحيح مسلم له دور مهم في توجيه المفهوم والتأويل الصحيح للأحاديث ، يؤثر هذا الأسلوب على فهم الحديث وتطبيقه في الحياة اليومية ، وهذا ما لمسته في دراسة بعض الأحاديث ، فأسلوب التعجب الوارد في كل حديث نابع من أهمية الحديث المروي وقيمته الدينية والتعليمية، وذلك بعد فهم الحديث بشكل أعمق وتطبيق ذلك بشكل سليم.

من الجوانب المثيرة للاهتمام في دراسة أسلوب التعجب في صحيح مسلم هي التأثيرات التي يمكن أن تكون ناتجة من التأويل الصحيح للأحاديث وبالتالي ترجيح معنى معين أو توجيه الانتباه إلى جانب محدد من الحديث.

وقد اختلف استخدام أسلوب التعجب في صحيح مسلم من حديث إلى آخر، سواء كانت صيغ التعجب القياسية، أو التعجب السماعي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

1- أسلوب التعجب في صحيح مسلم له دور مهم في توجيه المفهوم والتأويل الصحيح للأحاديث.

2- أسلوب التعجب ورد متنوعاً، وأدّى دلالات مختلفة.

3- يُـــؤدّي التعجب وظائف لغوية مهمة.

4- يسهم التعجب في إضفاء الحيوية والتشويق على الخطاب.

5- للتعجب دور في التعبير عن المشاعر والانفعالات وفي إبراز جوانب الإعجاب أو الاستنكار.

الهوامـــــــــــش:

(1) أنظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 581/1.

(2) أنظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، حامد عبدالقادر محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط4، 2004م، 584/2.

(3) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبومحمد عبدالله جمال بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري، بدون طبعة، صيدا، بيروت، 250/3.

(4) الكشاف، أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 2004م، 584/2.

(5) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس ابن زكريا الفزويني الرازي، ط1، 1418هـ، 1997م، ص141.

(6) أنظر: الأصول في النحو، أبوبكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: د.عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1417هـ، 1996م، 102/1.

(7) أنظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1376هـ-1957م، 317/2.

(8) أنظر: النحو القرآني، قواعد وشواهد، د.جميل أحمد ظفر، مطلع الصفاء، مكة، ط2، 1988م، ص564.

(9) أنظر: المرجع في اللغة العربية، نحوها وصرفها، على رضا، دار الفكر العربي، بدون طبعة، 71/3.

(10) أنظر: معاني النحو، للدكتور فاضل صالح حسن السامرائي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث، ط1، 1428هـ-2007م، 240/4.

(11) أنظر: الأصول في النحو، 147/3.

(12) أنظر: أسرار العربية، عبدالرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبدالله بن أبي سعيد، تحقيق: فخر الدين صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م، ص112.

(13) أنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 251/3.

(14) أنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص105.

(15) أنظر: النحو الأساسي، أحمد مختار عمر، مصطفى النحاس زهران، محمد حماسة عبداللطيف، الناشر: ذات السلاسل، الكويت، 1414هـ-1994م، ط4، ص597.

(16) البيت لأمرئ القيس، ديوانه، دار المعارف، ص97.

(17) الوكت: النقط في الشيء من غير لونه.

(18) المَجْل: غلظ الجلد من العمل.

(19) صحيح مسلم، أبوالحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون ط، 126/1، رقمه ( ).

(20) صحيح مسلم، 412/1، رقمه (589).
(21) أنظر: المنهل الحديث في شرح الحديث، الأستاذ الدكتور موسى شاهين، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، 2002م، 179/1.
(22) أنظر: المصدر السابق، 181/1.
(23) أنظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1356هـ-1937، 185/5.
(24) صحيح مسلم، 668/2، رقمه (973).
(25) أنظر: معاني النحو، 656/4.
(26) أنظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط3، 114/2.
(27) صحيح مسلم، 160/1، رقمه (289).
(28) صحيح مسلم، 282/1، رقمه (371).
(29) أنظر: المهل الحديث في شرح الحديث، 67/1.
(30) صحيح مسلم، 350/1، رقمه (484).
(31) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، ضبطه وصححه عبدالله محمود محمد عمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1421هـ-2001م، 261/2.
(32) أنظر: شرح المحرر في الحديث، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي، ت744هـ، الشارح: عبدالكريم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عمد الخضير، 21/11.
(33) صحيح مسلم، 2207/4، رقمه (2880).
(34) صحيح مسلم، 2258/4، رقمه (2940).
(35) صحيح مسلم، 1512/3، رقمه (1903).
(36) لسان العرب، 474/13.
(37) أنظر: المصدر السابق، 563/13.
(38) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م، 417/1.
(39) أنظر: البحر المحيط، الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الأثيوبي، دار ابن الجوزي، ط1، 1426-1436هـ، 185/44.
(40) أنظر: أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري، أبوسليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: د.محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، ط1، 1988، 1341/2.
(41) أنظر: معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزء من كتاب السيد نورالدين الجزائري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ، ص579.
(42) أنظر: القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1407هـ-1987م، ص317.

(43) أنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبوحفص عمر ابن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط1، 1429هـ-2008م، 261/3.

(44) أنظر: المصدر السابق، 385/10.

(45) أنظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري.

(46) صحيح مسلم، 82/1، رقمه (66).

(47) صحيح مسلم، 213/1.

(48) أنظر: المصدر السابق، 1811/4.

(49) أنظر: الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، 85/4.

(50) أنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، 676/28.

(51) أنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، 215/14.

(52) أنظر: فتح المنعم لشرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط1، 1423هـ-2002م، 515/10.

(53) أنظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، 455/2.

(54) صحيح مسلم، 2235/4، رقمه (2915).

(55) أنظر: البحر المحيط الثجاج، 435/44.

(56) أنظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج محمد لأمين بن عبدالله الأزمي العلوي، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البروفسور: هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج، دار طوق النجاة، ط1، 1430هـ-2009م، 182/36.

(57) صحيح مسلم، 1624/3، رقمه (2054).

(58) أنظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبوالحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال القرطبي، ضبط نصَّه وعلَّق عليه: أبوتميم ياسر بن إبراهيم الرياض، مكتبة الرشيد، ط2، 1423هـ-2003م، 167/5.

(59) أنظر: شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط2، 1403هـ-1983م، 77/11.

(60) صحيح مسلم، 2210/4، رقمه (2884).

(61) أنظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، حققه وعلق عليه: أبواسحاق الحويني الأثري، السعودية، دار ابن عفان للطباعة والنشر، ط1، 1416هـ-1996م، 213/6.

(62) صحيح مسلم، 735/2، رقمه (1059).

(63) صحيح مسلم، 260/1، رقمه (331).